على هامش النقد

٢ ـ مليم الأكبر

بحث وقصة ... عادل كامل

للأستاذ سيد قطب

تقدم الأستاذ عادل كامل إذن بقصته هذه التي تحدثنا عنها — على قدر الإمكان في مقال سابق الى المجمع اللغوي، فلم تمنحها اللجنة الأدبية جائزة القصة المقررة . وقد وافقنا نحن اللجنة في قرارها على أساس أن مثل هذا الاتجاه مما يحتمل الكاتب تبعته وحده أمام القراء مباشرة ، بلا وسيط من الهيئات المسئولة .

وعندئذ كتب المؤلف تلك المقدمة الطويلة التي بلغت مائة وثمانيا وعشرين صفحة ! وكان في ذلك الخير . فقد أصبحت هذه المقدمة بحثا مطولا في اللغة والأدب والفن والأخلاق وصارت هي الأخرى عملا أدبيا مستقلا بذاته ، قابلا للنقد والجدال !

ولقد تشعبت نواحي هذا البحث ، فلابد من الاختصار في مناقشتها . وتيسيرا للأمر سنسلك نفس الطريق الذي سلكه في إيرادها .

***

فهم الأستاذ عادل أنه كان هناك اعتراض على « مستوى » أسلوب القصة ، فأخذ في بيان مايفهمه عن الأساليب الجيدة والأساليب الرديئة فنفى أولا بأن هناك فكرة وتعبيرا كلاهما مستقل عن الآخر ، وأن هناك فكرة جيدة تعرض في أسلوب رديء .

« هذا رأى النظرة العجلى » فالفكرة لا تخطر للكاتب مجردة ، بل تأتيه في صورة الفاظ ، هذه الصورة اللفظية هي أسلوبه الذي تتحكم فيه الفكرة تحكما تاما . لهذا فأنت لا تستطيع أن تعبر عن الخاطر عينه بطريقتين مختلفتين . ثم أن يتغير المعنى ان اختلفت طريقة الصياغة . لأن المعنى الذي يوحي به اليك كاتب ماهو خليط غير منفصل من الفكرة واللفظ

« فمن يفهم الأدب فهما صحيحا لا يقر بامكان وجود موضوع جيد مكتوب باسلوب رديء ، لأنك وان اعجبت بالموضوع ، فأسلوب الكاتب وألفاظه هما اللذان أوحيا اليك بالإعجاب ، فهما الصلة الوحيدة بينه وبينك .

« ثم فكرة جميلة سرت الى نفسك ، وانت تطالع كتابا كيف تم هذا ! عن طريق لفظ وفي صورة لفظ . ثم إذن أن يكون الجمال في اللفظ إذ لو كان الأسلوب رديئا لما وصلتك الفكرة الجميلة »

وهذا كلام جيد . ونحن نوافق عليه بنصه وفصه . لا بل أنا قد كتبته منذ أشهر في فصل من فصول كتابي « التصوير الفني في القرآن » الذي يطبع الان ...

ولكن من الحق أن ترجع الفضل الى أهله . فلست أنا ولا الاستاذ عادل ، ولا النقاد الحديثون في أوربا هم أول من خطرت لهم الفكرة على هذا النحو كما يقرر هنالك رجال ممن كتبوا عن « البلاغة » منذ مئات الأعوام قد اهتدى الى هذه الحقيقة ؛ ولقد عبرت عن هذه الحقيقة في كتابي على النحو التالي

« إنا لنحسب أن « عبد القاهر » قد وصل في مشكلة اللفظ والمعنى الى رأي حاسم حين انتهى في « دلائل الإعجاز » الى أن اللفظ وحده لا يتصور عاقل أن يدور حوله بحث من حيث هو لفظ ، انما من حيث دلالته على معنى . وأن المعنى لا يتناوله البحث من حيث هو خاطر في الذهن ، ولكن من حيث أنه ممثل في نظم . وأن المعنى مقيد في وجوده بالنظم الذي يؤدى به ، فلا يمكن أن يختلف النظمان ثم يتحد المعنى تمام الاتحاد .

« لم يصغ عبد القاهر القضية هذه الصياغة فنحن نترجم عنه باختصار ، وإلا فقد استغرق فيها كتابا كاملا لا نستطيع نقله هنا ، ولا نقل فقرات منه بذلك الأسلوب المعقد الذي لا يتسق مع كتاب عن « التصوير الفني في القرآن » !

« ولكن « عبد القاهر » له فضله العظيم في تقرير هذه القضية . ولو خطا خطوة واحدة في التعبير الحاسم عنها لبلغ الذروة في النقد الفني . فنقول نحن عنه : إن طريقة الأداء حاسمة في تصوير المعنى . وإنه حيثما اختلفت طريقة التعبير عن المعنى الواحد اختلفت صورة هذا المعنى في النفس والذهن . وبذلك تربط المعاني وطرق الأداء ربطا لا يجوز الحديث بعده